العالم المسرحي والسينمائي

الممثل والمخرج المصرى

كما يراه بعض الفنانين الايرلنديين

(رد على حديث لمجلة الرسالة)

للأستاذ زكى طليمات

تفضل ناقد « الرسالة » الفنى فنقل فى أحد الأعداد الماضية حديثاً عن المستر هيلتن ادواردز مخرج فرقة (دبلن جيت) الأرلندية . التى عملت بمسرح الأوبرا الملكية فى نهاية هذا الموسم ، حديثاً تناول فيه الممثل المصرى والمخرج المصرى بما تراءى له بعد أن شهد رواية (السيد) التى مثلتها أخيراً الفرقة القوميـــة المصرية بدار الأوبرا

فمن الثناء والنقد الذى خص به هذا النفر من الممثلين والممثلات أقدم للمستر ادواردز شكرى الخالص ؛ وكنت بدورى أود لو أتيحت لى فرصة التمثيل أمامه لأسمع رأيه فيما أقدمه ، وأتعرف مواطن الأستاذية أو الضعف فى فنى ، إذ لكل مفتن ، مهما بلغ شأنه فى فنه ، نواح لا تخلو من المآخذ

أما عن المخرج المصرى ، وقد خصنى المستر ادواردز بالذات : فارى لزاماً علىّ أن أتقدم إليه ببضع كلمات إقراراً للحقيقة التى ننشدها جميعاً ، وكشفا لبعض مواطن الأمور التى أصدر فيها المخرج الارلندى حكمه على مظاهرها دون اضطلاع بالظروف والملابسات التى أحاطت باخراج رواية (السيد)

المذهب الواقعى والمذهب الايحائى

كان أبين ما أخذه علىّ المستر ادواردز أننى أتبع طريقة المذهب الواقعى Le Realisme فى إخراج الرواية ورسم مناظرها وأستارها . وهذا المذهب يحتم بقدر المستطاع نقل مظاهر الحياة كما هى بتفاصيلها العادية وتفاهاتها الحقيرة ، ونعى على أننى لا آخذ فيما أعمل بالمذهب الايحائى Suggestion ، وهو

ما تقول أنت ياصديقى ، وأشار الى المتكلم الأخير ، إنما هو شعور بالحياة ووسيلة فعالة تصقل المدارك فتجعلها تتبصر وتتفقه المعانى لجمال الحياة ، لابد للرجل الحى من شعور سام بالحياة ، فالحياة نفسها تسعد بالحب السامى . إن ما تمنحه المرأة للرجل عفو النزوة الطارئة أو الرغبة الطائشة أو المتعة الخاطفة إنما هى منحة متبذل يضع احترامه تحت أقدام الرجل . الحرمان لرجل الشهوة شواظ كومة قش مشتعلة ، والمرأة المسؤولة حنان مدفون لذيذ وعطف دائم ، مستحب . الحرمان للرجل المثقف إنما هو مراء ومشاهد ، وأنغام وألحان ، أطياف وظلال لخيالات المثل العليا التى تتخيلها روحه العظيمة وشاعريته الحساسة التى تلد وتنجب وتخلق وتبتكر

إن حقيقة بواعث ذلك الحب انما هى بذرة الغريزة ألقتها الطفولة البريئة اعتباطاً عند ما استبدلت الرمانة بتفاحة ودست صورة العذراء فى محفظة الكتب ، وقد أنتجت على كر السنين تقارباً يضارع انحدار الكهل فى سلم الحياة ليلاقى الطفولة من طرفه الآخر ، وهذا الانحدار يشبه طرفى قوس يتقابلان ، ولا يتقاربان ويتماسان إلا إذا انكسرت القوس ! ! ؟

انطلقت حنجرة أحد السامعين بضحكة كبيرة وقهقهة عالية كأنها صوت حجر الطاحون وقال : فلسفة مخمورة وهواجس سكرى هى ما تقوله أيها الصديق . ولله إنى لأعجب من تخبطكم جميعاً فى الحب وتكلفكم ابتداع صور له تشوه وجهه الحقيق ، الحب أيها السكارى نداء جنسى . الحب أيها المتفلسفون تجاوب غريزى لنداء الجنس . وإن كل ما تختلقه خيالاتكم وتبتدعه عقولكم انما هو وصف مبرقع لحقيقة العلاقة الجنسية التى تأنف من البراقع

حبيب الزحدوى

المذهب الذى ساد فنون الرسم والنحت والتصوير جاعلاً من مظاهرها فناً مركزاً ينبو عن محاكاة الطبيعة كما تراها العين المجردة أو عدسة الكاميرا ، على حين أنه يجمع من الأشياء خصائصها الرئيسية التى توحى بالجزئيات والتفاصيل ، وتبعث مخيلة الرائى على استكمال ما أنقصته عمداً يد الفنان

ثم ساد هذا المذهب أيضاً فن الاخراج المسرحى فجعل من مظاهره المادية (وهى الأستار والملابس والاضاءة) ، ثم من مظاهره النفسية (وهى إلقاء الممثل وإشاراته) ، فناً يجنح الى البساطة الموحية الغنية ، ويميل الى التركيز بل يهوى أحياناً إلى مقاربة الفن الرمزى Le Symbolisme من حيث المغالاة فى التفسير بالرئيسيات عن الجزئيات والدقائق

وكانت هذه النقلة من جراء تقدم فن الفوتوغرافيا ثم فن السينما الذى جعل كل محاولة من جانب المخرج المسرحى فى نقل الطبيعة ومحاكاتها على المسرح ضرباً من السخف ولوناً من الهزل الفنى الذى يجب أن يترفع عن إتيانه كل متفنن يتأثر بروح العصر ومزاجه العام

وغالى بعض المخرجين فى توليد هـذا المذهب ، ولا سيما بعد أن نزلت بفن المسرح كارثته الأخيرة ، وكسبت السينما النصر فى استمالة الجمهور ، فجعلوا من المناظر المتعددة فى رواية واحدة منظراً واحداً يشيد بحال يمكن المخرج من تمثيل كافة مشاهد الرواية فى أقسامه المختلفة مع إضاءة القسم الذى يجرى فيه تمثيل المشهد وإبقاء الأقسام الباقية فى الظلام ؛ هذا مع الاستعانة ببعض الأستار الجزئية أو الأثاث والمهمات ، حتى لا يتصدع ما يصح أن (تعقله) عين الجمهور la vraissemblance ، وحتى لا تصطدم مخيلة النظارة بما يخرج على المنطق الايحائى الذى هو الباعث الأساسى لشهوة الجمهور المثقف على تذوق هذه اللذة الفنية ، لذة الايحاء واستساغتها

وقد عمد المخرجون ، ولا سيما الانجليز منهم والألمان ، إلى هـذا الاتجاه الفنى ، وهو ليس بالفن الجديد لأنه عرف على حالة أولية فى مسارح القرون الوسطى بأوروبا وفى المسرح الانجليزى فى عهد شاكسبير والملكة اليصابات ؛ عمدوا إلى ذلك بعد أن أفلس المذهب الواقعى الذى عمدته Antoine فى فرنسا ، و Stanislavsky فى الروسيا ، فى محاولة إنقاذ المسرح بعد أن اكتسحته (الكاميرا) مستثمرين قصور ميكانيكية المسرح على تقدمها الأخير عن بلوغ الشأو الذى قطعه فن السينما فى إيراد مناظر لا حد لها ولا نهاية بأيسر الوسائل وأقل التكاليف.

وأرادوا بهذا أيضاً ، وهو الصميم ، أن يقدموا للنظارة لذة ذهنية جديدة غير تلك التى يقدمها فن السينما القائم على تعدد المناظر والعرض الواسع ومحاكاة الطبيعة فى أدق مظاهرها ، لذة أساسها التخيل واستثارة الخاطر وإشعار النظارة لذة التوليد مما هو مركز ، وجمال الكشف عما هو مغلق أو يكاد . وأصابوا التوفيق لدى الجمهور المثقف المشحوذ الخاطر ، ولا سيما الجمهور الانكليزى الذى يحمل فى آدابه تقاليد المسرح الشاكسبيرى

وقد أطلق المخرجون الفرنسيون على هذا النوع من المنظر المركز اسم Simultané

وليعذرنى المستر ادواردز إذا أنا لم أسهب أكثر من ذلك لضيق المقام ، ولأن الأكثرية الغالبة من القراء لا يأبهون ولا يتذوقون الكلام فى هذه الفنون الغريبة عن آدابهم القديمة والحديثة ، ولكننى أذكر له أننى قرأت ما كتبه المخرج الانجليزى الفقيه (جوردن كريج) ، والألمانى (رينهارت) ، والفرنسيان العبقريان (كوبو) و (چيميه) ، والأخير هو أستاذى فى مسرح الأوديون ، وقد شاهدت مآثر فنهم واتجاهاتهم الحديثة فى الروايات التى رأيتها فى لندن وبرلين وباريس

بعد هذا أعترف بأننى لم أعمد إلى المذهب الايحائى المبالغ فيه simultané وهو المذهب الذى تبعته الفرقة الارلندية فى اخراج روايتى (هملت) و (روميو وجولييت) على مسرح الأوبرا ، لأننى أعلم ، وأنا مصرى وأعمل للمسرح منذ خمسة عشر عاماً ، أن الجمهور المصرى ، بحكم مزاجه العام ، لا يتذوق هذا الاتجاه الفنى ، بل ولا يستطيع أن يفهمه ، بل إنه ليرى فيه ضرباً مما يخالف المعقول ، وذلك بحكم أنه جمهور غير مثقف وأغلبيته تثقيفاً فنياً كاملاً ، ولأنه جمهور (لاتينى) من حيث ثقافته

وإذا كان المخرجون الانكليز والألمان أكثروا من استعمال هذا الصنف من المناظر فلأن ثقافتهم من (الشمال) ، وثقافة (الشمال) يملؤها الضباب والسحاب ، وليس فيها وضوح الثقافة

اللاتينية التي قامت فى بلاد البحر الأبيض المتوسط ، حيث وهج النهار يكشف عن دقائق المرئيات . وإذا كان الجمهور الانكليزى يرتاح إلى مشاهدة هذا النوع من الاخراج فلأنه جمهور شكسبير وجمهور المسرح الثابت الستار الذى تجرى فى ساحته الواحدة معارك القتال ومعارك الغرام وغيرها ؛ ويكفى أن يرمز لكل منها بلوحة مكتوبة حتى يستقيم المنطق لدى النظارة وحتى ينزو كل خاطر من كمينه

وفوق هذا ، وعلى اعتبار أن الجمهور المصرى يفهم ويستسيغ هذا النوع من الاخراج ، فانى ما كنت لأخرج رواية (السيد) وفاقا لما يراه المستر ادواردز ويعتبر أنه قطرة العطر المختارة فى سائر وسائل الاخراج ، لأنها رواية من صميم الأدب الكلاسيكى ، ولأنها من الأدب اللاتينى القائم على الوضوح والبساطة ، ولأنها رواية أساسها (الكلم) le verbe لا العرض le spectacle ، والمستر ادواردز يعرف حق المعرفة أن المخرج الحق ، المخرج الذى لا يقدم الشيء الغريب ليعرف بالغرابة ، مقيد بروح الرواية وبنوعها الأدبى ، ومن هذا المصدر يستوحى الاتجاه الفنى ويتخير وسائله فى الاخراج ، ولا سيما فيما هو خاص بالاطار المادى الذى تبرز فيه الرواية la mise en scène picturale ، وأعنى به فيما أعنى مناظر الرواية وأستارها

إذن فليسمح لى المستر ادواردز بأن أقول إنه تسرع فى حكمه قبل أن يتعرف ذوق الجمهور المصرى ، وأنه من أولئك النفر من المخرجين الذين يريدون أن يجعلوا من فن الاخراج فناً قائماً بذاته لا يحفل بروح الرواية ولا يحترم إرادة مؤلفها ولا يأبه بمكانها من الاتجاهات الأدبية ؛ وإننى أربأ به عن هذا النفر ذى السمعة المعروفة ، وأقول ، بحسناً الظن بنقده ، إنه أخذ علىّ فى الاخراج وسيلة لا يميل اليها شخصياً

أما إننى خرجت على المذهب الايحائى البسيط الذى يستطيع أن يتذوقه الجمهور المصرى ، والذى يماشى روح الرواية ، فأمر لا يقره الواقع ؛ فالمستر ادواردز قد شاهد بعينيه أننى ركزت على جانبى مقدمة المسرح عمودين من النمط الذى كان شائعاً فى القرن الحادى عشر ، وهو عصر الرواية فى اسبانيا L'art roman ، عمودين يجمع بينهما (قبو) لا يرى النظارة منه سوى بدايته فوق كل عمود ، على حين أننى لم أكمل الباقى وأسدلت ستاراً من العلاء يغطى ما تعمدت اخفاءه ، وذلك بقصد الايحاء ، عمودين لا يحملان فى قطعهما وتصويرهما جزئيات الحقيقة ، بل يبدوان وعليهما أهم مميزات النمط ، وذلك نزولاً على مبدأ المذهب الايحائى الذى أنا أول من قدمه فى مصر ، ولا سيما فى روايتى (تاجر البندقية) و (أهل الكهف)

وبذلك أحييت الصبغة الزمنية والمحلية بأسهل الوسائل

كذلك عمدت الى الأستار المخملية ذات اللون الواحد لتمثيل حجرة ابنة الملك وحجرة (شيان) ؛ ستاران أحدهما رمادى والآخر بنى اللون ، يهبطان الواحد خلف الآخر وراء العمودين ، واستعنت بالأثاث للتنبيه على الايحاء فى احياء الصبغة المحلية ، فكان أثاث حجرة شيان من الفن الأسبانى فى القرن الحادى عشر ، وكان أثاث حجرة ابنة الملك من الفن العربى باعتبار أنها من الأسلاب التى غنمها الأسبان من العرب بعد أن أكرهوهم على الجلاء عن قصورهم

ثم كان المنظر الذى يمثل ساحة أو ربوة بجوار المدينة حيث يتبارز الكونت والدوق دياج ؛ هذا المنظر قد رسم وفاقا لصميم المذهب الايحائى المتطرف ، بل لقد أمرت المصور الذى رسمه بألا يتبع قواعد المنظور فى رسمه ؛ وكل هذا بقصد استثارة مخيلة النظارة ودفعهم إلى توليد لذة ذهنية تطالعهم بعد التفكير والامعان

ولكن حدث بعد ذلك أن شاهد المستر ادواردز منظر ساحة العرش فى قصر الملك ، وهو منظر يمت بحق إلى (المذهب الواقعى) ويحطم بحق أيضاً الوحدة المسرحية Unité scènique التى يجب أن تسود سائر مناظر الرواية ، وكان أن صاح المستر ماك ليمور زميل المخرج الأرلندى النابه بأن المخرج قد أخطأ !!!

نعم لقد أخطأت ... ولكن ليس عن جهل بأيسر وبأولى قواعد فن الاخراج . وهنا أستطيع أن أروى ما قد يرسم ابتسامة الاشفاق على شفاه الزميلين العزيزين ...

المسألة وما فيها أن مصور المناظر لرواية (السيد) لم يتمكن من انجاز هذا المنظر فى الوقت المناسب ، فاضطررت — أقول اضطررت — على الرغم منى ، وعلى الرغم مما يعمر رأسى من فنون الاخراج ، أن أستعير منظرا من مناظر دار الأوبرا الملكية

حتى لا يتأخر تمثيل الرواية ، وكان هذا الظرف المحرج الذى لم ينفع فيه علمى ، ويصح أن أقول للزميلين إن مناظر الأوبرا لم تعرف بعد المذهب الايحائى ؛ وقد ضحك منى رئيس الميكانيستية حينما وضعت ستار المؤخرة فى رواية (أهل الكهف) من القطيفة ، على حين أن بقية أجزاء المنظر كانت من الاطارات المرسومة الملونة

إذن ليعذرنى الزميلان ، وكان يجدر بهما — وهذا ما آخذه عليهما — أن يتريثا فى الحكم على زميل ، وألا يصدرا هذا الحكم بعد مشاهدة رواية واحدة خذلت برغمى فى الاحتفاظ بوحدتها المسرحية

وليعذرنى أيضاً الزميلان إذ أن معظم المناظر فى مصر — ومن بينهم الأجانب — لا يعرفون شيئاً عن المذهب الايحائى ولم يسمعوا بعد عن سائر الاتجاهات الحديثة من symbolique و expressionniste و Cubiste ، وإننى أجاهد معهم متعبا و ...

وإن البعض من الممثلين بل والنقاد ، عدوا المناظر التى قدمتها فى رواية تاجر البندقية وكلها ايحائية محضة ، نوعاً من التمرين الأولى فى فن التصوير والرسم مما يقدمه طالب بالمدارس الأولية

الإضاءة

يقول المستر ادواردز « إننى لم أقصد من الاضاءة إلا أن أكشف المناظر والممثلين للنظارة ، وإننى لم أستخدم الاضاءة لغرض أو فكرة خاصة إلا فى موقف واحد فقط بين (السيد) وحبيبته » ومجمل هذا الاتهام يناقض بعضه بعضاً ، فهو يعترف أننى استخدمت الاضاءة لفكرة وغرض فى أحد المواقف ، ولكننى أهملتها فى مواقف أخرى ، أعنى أنه يعترف بأننى أدرى أن الاضاءة المسرحية ليس الغرض منها فقط انارة المناظر والممثلين بل احياء الصبغة النفسية لأهم عاطفة تجتاح المشهد ، هذا مع خضوعها للمعقول وما يحتمه الزمان والمكان . وتكفينى هذه الشهادة ، ويرفه عنى هذا التناقض ، لأن من يعلم أن ١ + ١ = ٢ لا يرجع فيعطى نتيجة غير هذه !!! . يعلم المستر ادواردز وقد شاهد الرواية — ولا أعرف ما إذا كان قرأها — أن كافة المناظر تجرى فى رابعة النهار ماعدا مشهدين أولهما فى وسط الليل وثانيهما — وهو الذى أشار اليه — فى أول هبوطه ، وقد اعترف بدقة الاضاءة فيه

ماذا كان يريدنى أن أعمل للاضاءة المطلوبة فى باقى مناظر الرواية ، وكلها تجرى فى النهار ، أكثر من الانارة التامة للمسرح ؛ ثم غمر الأقسام الرئيسية التى يجرى فيها أهم مشاهد المنظر بأشعة ناصعة تصبها مركزات للنور (بروجكتور) على جانبى المسرح ، وذلك بقصد اجتذاب أنظار الجمهور إلى أهم النقط التى يجرى فيها التمثيل !!!

أقول للمستر ادواردز إننى من المعجبين بتصوير الصور رامبراند Ramprandt وأعرف أننا معشر المخرجين الحديثين نستقى من طريقته فى توزيع النور فى لوحاته الخالدة ، نستوحى أساليبنا فى اضاءة المسرح ، وفى هذا ما يكفى ليعلم أننى أعتقد فى الاضاءة المسرحية وأراها مصدراً غنياً فى الالهام يستوحى منه المخرج ، وأن الاضاءة المسرحية قد أخذت مكان المناظر فى إحياء الصبغة النفسية ، بل والمكانية أحياناً

بعد هذا أصرح أن ما قرأته فى (الرسالة) عن لسان المستر إدواردز لا يخلو من قسوة ومن تحرج لا أظن أن نفسية مفتن من طرازه تنطوى عليهما ! !

ولكن أحقاً قال ذلك المستر إدواردز وزميله ؟ أم أن ناقل الحديث هو الذى قسا وتحرج ! ! !

لا يهمنى كثيراً . . . وأشكر لصاحبى الحديث ولناقله هذه الفرصة الغالية التى أتاحت لى أن أناقش وأحاور فى فن أحبه كثيراً ، وأود أن أتلمس مواطن الضعف منى فى تأدية رسالته

زكى طليمات

خريج مسرح الأوديون بباريس
وعضو جمعية المسارح الدولية

أؤكد للأستاذ زكى أنى كنت أصيخ فى نقل الحديث بما فيه من رقة وقسوة

يوسف تاورس

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن إدارة « الرسالة »
والثمن ١٢ قرشاً